أرباب الاقلام

ومطالبة الحكومة

زارنا اديب قبل كتابة هذه السطور وقال لنا ان فلاناً الشاعر المجيد الذي انتشرت قصائدهُ في مصر والشام والعراق اعترتهُ خلة الادب فلا يكاد يجد ما يقوتهُ . فدهشنا كأننا لم نسمع مثل هذا الكلام من قبلُ لا عن ذلك الشاعر ولا عن غيرهِ من امراء الكلام وارباب الاقلام

الملك على عرشهِ تنقدهُ الامة كل سنة مئة الف جنيه او مئتين او اكثر الى مليون من الجنيهات . ولماذا . لانهُ يخدم امتهُ خدمةً يستحق عليها جزاء تجازيهِ حسب سعتها او حسبما اعتادتهُ وتوارثتهُ اسلافهُ . ويموت عشرة ملوك فلا يذكر التاريخ ملكاً منهم خدم امتهُ خدمة توازي ما جازتهُ بهِ

والوزير في دستهِ تنقدهُ الامة ثلاثة آلاف جنيه في السنة الى اربعة او خمسة لانهُ يخدم امتهُ خدمة يستحق عليها جزاء فتجازيهِ حسب سعتها او حسب قانونها ولا تبخسهُ حقهُ لانهُ لو انقطع الى التجارة او غيرها من الاعمال لكسب منها قدر ما تعطيهِ او اكثر . وقس على ذلك سائر رجال الحكومة يكسب كل منهم حسب الخدمة التي يخدم بها امتهُ وما راتبهُ الاَّ اجرة لهذه الخدمة وقد يزيد على خدمتهِ او تزيد خدمتهُ عليهِ ولكن الغالب ان يكون بين الخدمة والراتب تكافؤ

وهناك فريق من الناس يخدمون الامة بل يخدمون امم العالم خدمة اذا قدّرت بمال ساوت بدرات الاموال وقد تفوق خدم الملوك والوزراء وكل رجال الحكومة ولكن لا اجر ولا شكر

لا تجد كاتباً من كتاب العربية في هذا العصر الاَّ تراهُ يستشهد مراراً كثيرة بحكم المتنبي ليعزز بها ادلتهُ ويستعين بها على انارة الاذهان وتثقيف العقول وتقوية ملكة اللسان. يستفيد من ذلك فوائد ادبية ومادية ويفيد بها غيرهُ ولكن ما هو الاجر الذي اعطيناهُ للمتنبي بدل هذه الفوائد التي اشترك فيها ابناء هذا اللسان منذ الف سنة الى الآن . لا شيء حتى قبرهُ لا يعرف . وازنْ بين الفوائد التي نالتها الامم العربية من اشعار المتنبي وبين ما نالتهُ من اي سلطان كان من اعظم سلاطينها الذين كانت تجود لهم يدرات الاموال تجد فضل المتنبي يربي على فضل المئات من السلاطين والامراء والوزراء

وما قيل عن المتنبي يقال عن المعري وابي تمام وابن سينا وابن رشد وابن الاثير وابن خلدون وعن سقراط وافلاطون وعن مستنبطي الطباعة وعن كل المخترعين والمكتشفين ولو عاشوا ومانوا في الفقر المدقع

كان لملوك العرب مزية في العهد الماضي وهي انهم كانوا يقربون النوابغ ويفجونهم بالاموال الطائلة يجبون اموال الامة بحق او بغير حق ويعطون جانباً منها لمثل هؤلاء النوابغ لا لانهم افادوا الامة بل لانهم اطنبوا في مدحهم او ارضوهم بامر من الامور . ومهما يكن الدافع لهم الى ذلك فالنوابغ كانوا غالباً بأمن من الموت جوعاً اما الآن فلا ارباب الامر يحفلون بارباب القرائح ولا الامة تهتم بالاديبات

قال لنا الاديب الذي نبهنا كلامهُ الى هذا الموضوع انهُ اوفر حظاً من غيره لانهُ طبع كتاباً فباع منهُ ثلثمائة نسخة والكتاب من النفائس واهل القطر يشترون الالوف من الروايات السخيفة والصحف المزلية فكيف يشطط الاديب الى نشر شيء مفيد وثلثمائة نسخة تعد امراً كبيراً وهي لا تفي بنصف نفقات الطبع . ولا يحق لنا ان نطلب من عامة الامة ان تفعل ما لا تفعلهُ من نفسها فان درجة تعلمها لا تؤهلها لمطالعة غير الروايات الفكاهية والصحف المزلية وهذا شأن العامة في كل مكان والخاصة قليل عددهم جداً في بلادنا فاذا تركت الامور الى مجراها لم تتغير هذه الحال الاَّ بعد السنين الطوال . فهل من الحكمة تركها كذلك واضاعة جانب كبير من الثروة العقلية والادبية . هل نجري في سائر امورنا على هذا النسق . هل نترك الترع العمومية لاصحاب الاطيان يطهر كل احد الجانب المحاذي لاطيانهِ منها والمصارف ليحفر كل احد ما يتصل باطيانهِ منها والشوارع العمومية ليرصف كل احد ما يجاور بيتهُ . كلاَّ لا نفعل ذلك بل اقامت الامة جماعة من الناس تعطيهم كل سنة خمسة عشر مليوناً من الجنيهات ليتفقوها على مصالحها العمومية . افليس الاحتفاظ بالقرائح وتنائجها من المصالح العمومية التي تنتفع بها الامة وابناؤها كما ننتفع نحن اليوم بنتائج عقل سقراط وارسطو وافلاطون والمعري والمتنبي . أليس في زوايا نظارة المعارف ونظارة المالية ونظارة الداخلية وديوان الاوقاف من الاموال قدر ما يعطى للاوبرا الخديوية يعان بهِ ارباب القرائح الى ان تشيع الرغبة في العلم والادب

ايدري كبار رجال الحكومة الذين نوجه اليهم هذا المقال ان الشاعر الذي لا يقرمون لهُ اليوم ولا يعبأون بهِ قد يبقى ذكرهُ ولو نسيت اسماء الملوك والوزراء

قال دعبل الشاعر المشهور « كان امرؤ القيس من ابناء الملوك وكان من اهل بيتهِ وبني

ابيه اكثر من ثلاثين ملكاً فبادوا وباد ذكرهم وبقي ذكرهُ الى يوم القيامة وانما امسك ذكرهُ شعرهُ»

وقال باكون الفيلسوف الانكليزي «حسبك شاهداً على خلود شعر الشعراء العظام انهُ مرّ على اشعار هوميروس اليوناني وخمس مئة سنة ولم يفقد منها كلمة ولكن كم من قصر وهيكل وقلعة ومدينة اخفى عليها الدهر في هذا الزمان الطويل وجعلها اثراً بعد عين ولقد تعذر علينا حفظ صورة قورش وقيصر وغيرهما من الملوك ولكن الصور التي يصورها الذكاء والرسوم التي ترسمها القرائح ترسخ في بطون الاوراق وما هي بصور صماء ولا هي رسوم صامتة ان هي الاّ اشباح حية تنمو في العقول وتثمر فيها وينوالى نموها وجناها على توالي الايام» ولله در من قال

ولولا خلال سنها الشعر ما درى بناة المعالي كيف تبنى المكارمُ

ومن قال أرى الشعر يحيي الجود والبأس بالذي تبقيهِ ارواح لهُ عطراتُ

وما المجد لولا الشعر الاّ معاهدٌ وما الناس الاّ اعظم فخراتُ

وما اقترحنا خاص بالشعراء ولا شكوانا مقصورة على قلة العناية بهم دون سواهم لان اكثر ارباب الاقلام الذين لم يعرفوا ان يتخذوا اقلامهم ذريعة ووسيلة هم في ضنك من العيش والامة مطالبة بسد حاجتهم لقاء انتفاعها بهم والحكومة كفيلة الامة ونائبة عنها فاذا قصرت في ما يجب عليها من هذا القبيل لم تسلم من عتاب الامة ولومها . وحرام على حكومتنا ان تنفق الالوف المؤلفة على امور تافهة لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرّاً ونوابغ كتابنا يتضورون جوعاً او لا يجدون ما يحلي مرارة الحياة

وان قيل كيف السبيل الى اجازة ارباب الاقلام حتى ينجوا من الاملاق . قلنا لذلك سبل متعددة نختار منها السبيل الذي تجري عليهِ الحكومة الانكليزية الآن وقد جرت عليهِ الحكومة المصرية لما عينت معاشاً لاحمد فارس وهو اعطاء معاش سنوي لمن يثبت لها انهُ من نوابغ العلماء والادباء وليكن المعاش بين خمسين جنيهاً ومئتي جنيه في السنة حسب منزلة الرجل وحاجتهِ . فاذا بلغ عدد الذين يستحقون ذلك خمسين وكان متوسط ما يعطى لكل منهم مئة جنيه في السنة فالمجموع كلهُ خمسة آلاف جنيه لا توازي ترميم بناء كبير من المباني التي ترمم كل سنة . ولو كان في البلاد رجل مثل كارنجي يقف ملايين من الجنيهات ليوزع ريعها على الفقراء من العلماء والادباء لقلنا بهِ الغنى واعفينا الحكومة من هذا الواجب اما والحال كما ترى فلا نرى لها مندوحة عن اعانة رجال العلم والادب